الخدمات السياسية والثقافية للموالي في المجتمع العباسي خلال العصر الأول

The Provision of Political and Cultural Services of al-Mawali in Abbasid Society during the First Era

حنان جعيرن*

المدرسة العليا للأساتذة طالب عبد الرحمن الأغواط

h.djairene@ens-lagh.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/07 تاريخ القبول 2024/05/28 تاريخ النشر 2024/06/22

ملخص: عندما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية لم يكن مقتصرا اعتناقه على الجنس العربي فحسب، بل ضم في ثناياه كل الأجناس والأعراق في العالم وذهب إلى أكثر من ذلك أنه سوى بين كل البشر، والفرق يكون بالتقوى إلى الله، لذلك نرى في الدولة الإسلامية في كل محطاتها التاريخية ظهور تركيبات اجتماعية ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تاريخ الحضارة الإسلامية أطلق عليهم اسم الموالي، وعنصر الموالي ظهر بقوّة خلال العهد العباسي حين أحكموا سيطرتهم على مجالات حكم الدولة وذلك نظرا لخبرتهم وانصهارهم في جسد الدولة الاسلامية، وعليه سيكون فحوى هذه الورقة البحثية عن الخدمات السياسية والعلمية التي قدمها الموالي للدولة العباسية خلال العصر الأول.

الكلمات المفتاحية: الموالي، العصر العباسي، الخدمات، السياسية، الثقافة.

Abstract: At the emergence of Islam in the Arabian Peninsula, its embrace was not restricted to the Arab race alone but rather included all races and ethnicities in the world. Interestingly, Islam advocated for the equality of all humans, and the sole distinguishing factor was piety towards Allah. In the Islamic state, throughout all historical stages, there

* المؤلف المراسل

emerged social structures that greatly contributed to the development of Islamic civilization, aptly named as the Mawali. The Mawali people assumed an essential position during the Abbasid regime as they took control over the ruling power on the state, thanks to their experience and integration into Islamic state. Therefore, this research content will cover the political and scientific services that were provided by Mawalis to the Abbasid state during the first era.

***key words**:* Al-Mawali, the Abbasid era, services, politics, culture.

مقدّمة:

إنّ الدارس للتاريخ يدرك جليا أن قيام دولة الخلافة العباسية لم تكن مجرد بيعة خليفة دون آخر، أو انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين في حكم المسلمين ، بل يعتبر هذا الحدث أكثر من مجرد تغيير في الأسرة الحاكمة، فإنّ ثورة العباسيين وما نتج عنها من تغيير جذري في المجتمع الاسلامي تعتبر نقطة تحول هامة و فاصلة في هذا المجتمع لازمته طوال العصر العباسي الاول.

لقد كان للدولة العباسية بصمة واضحة في تاريخ الحضارة الإسلامية، ويشهد لها بذلك علومها وعمرانها التي كان ازدهارها بتشجيع من حكامها ووزرائها، كما ساهم في هذا الازدهار فئات بشرية متنوعة يأتي في مقدمتها فئة الموالي الذين شكّلوا السواد الأعظم في الدولة العباسية بل إنّهم كانوا عاملا بارزا في قيامها، فهم من العناصر المؤثرة في المشهد التاريخي، وهذا ما نراه جليا في المكانة العالية التي نالها الموالي خلال حكم بني العباس الذين جعلوهم في هرم التركيبة الاجتماعية.

من خلال هذه المعطيات يمكننا طرح التساؤل:

كيف استطاع الموالي نيل المكانة الرفيعة لدى الخلفاء العباسيين؟ وكيف ساعدت الخدمات السياسية والثقافية في ازدهار الدولة العباسية؟

وللإجابة عن هذا التساؤل لابد لنا من تسليط الضوء على النقاط التالية:

1_ الموالي المفهوم والمعنى

2_ ظهورهم في التاريخ الإسلامي

2_ المهام السياسية للموالي في الدولة العباسية

3_ دور الموالي في نشر العلم والثقافة خلال العصر العباسي

تكمن أهمية مثل هذه الدراسات التاريخية في إدراك دور اختلاف الأعراق في قيام الحضارات، ودورها أيضا في اعطاء صورة جلية وواضحة عن فضل الإسلام على التجمعات البشرية ومحو الفوارق العرقية بين العرب وغيرهم.

أولا: الموالي في المفهوم والأصل

منذ ظهور الفتوحات الإسلامية خلال الحقبة الراشدية والجماعات البشرية تدخل تباعا إلى الدين، بل إنّها تشكّل عنصرا مؤثرا في المعارك والحروب الإسلامية ولم يقتصر الأمر على هذ فحسب بل استطاعت تحكيم قبضتها في أمور السياسة والإدارة في الدولة الإسلامية وقد أطلق على هؤلاء مسمى الموالي.

1: الموالي في اللغة

المَوْلى هو المعْتِقُ و المعْتَق ، و الصَّاحب، و الحليف ، و ابن العمّ ، و النَّاصر ، والجار، و كل هؤلاء من الوَلِي وهو القُرْب . وكلُّ مَن ولِيَ أمرَ[1]، ووقد ورد لفظ الموالي في قوله تعالى : <<**و إني خِفتُ المَواليَ**>> [2]، ويمكن للمولى أن تحمل معنى الناصر كمافي قوله تعالى: <<**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا و أن الكافرين لا مولى لهم** >> [3]، ويطلق على الحليف مولى الموالاة.[4]

والمولى المعْتَق انْتَسب بنسبك ، لهذا قيل للمعتقين موالي ، و قال أبو الهيثم المولى على ستة أوجه : المولى ابن العمِّ و العمُّ و الأخُ والابن و العَصابات كلهم ، و المولى الناصر و المولى الولي الذي عليك أمرك ، قال ورجل ولاءٌ و قومٌ و لاءٌ في معنى وَلي وأولياء لأن الوَلاء مصدر ، و المولى مولى المولاة و هو الذي يسلم على يدك و يواليك

و المولى مولى النعمة وهو المعتق أنعم على عبده بعتقه ،و المولى المعتقُ لأنه ينزل منزلة ابن العم يجب عليك ان تنصره و ترثه إن مات لا وارث له ، فهذه ستة أوجه[5].

2: في الاصطلاح

يقول الطبري أنّ الموالي هم العصبة عرف هذا الاسم منذ الجاهلية، فلما دخلت العرب على العجم لم يجدو لهم اسما ، فسموا الموالي[6]، والموالي يقصدون بهم كل من أسلم من غير العرب ، ذلك لأن هؤلاء إما يكون أصلهم أسرى حرب استرقوا ثم اعتقلوا فصاروا موالي . و إما أن يكونوا من أهل البلاد المفتوحة وهؤلاء كانوا حينما يسلمون ينضمون إلى العرب و يدخلون في خدمتهم، و يتحالفون معهم لكي يعتزوا بشوكتهم وقوتهم، وبذلك يصبحون موالي أيضا بالحلف و الموالاة.[7]

ثانيا: ظهور الموالي في التاريخ الإسلامي

1_ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

لقد سعى الإسلام منذ ظهوره إلى هداية الناس وانتشالهم من هوة الخلاف والشقاق، دعا إلى الوحدة و التضامن وعمل على إزالة الفوارق ونشر العدالة وأعلن المساواة بين الطوائف و الطبقات، ففي حجة الوداع نادى محمد صلى الله عيه وسلم بأعلى صوت فقال (أَيُّها النَّاس إِنَّ رَبكُم وَاحِد و إن أَباكُم واحد كُلكم لآدمَ وآدمُ مِن تُرابٍ لَيسَ لِعربي على عَجَمِيٍ فَضْلٌ إِلَّا بالتَّقوَى)[8].

لقد حقق رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ المساواة فرفع المخلصين من الموالي إلى أعز مكانة وأسماها ، ووضعهم في صف المخلصين من العرب جنبا الى جنب فبلال الحبشي كان من خاصة المقربين للرسول و سائر المسلمين[9]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينا يتذكر عتق أبي بكر لبلال يقول : (أبو بكر سيدنا و أعتق سيدنا)[10]، وسلمان الفارسي كان أيضا من المقربين للرسول ولسائر المسلمين، وهو الذي ولي قسم

الغنائم في واقعة جلولاء حتى لقد أنسته عدالة الإسلام جنسيته فكان يقول مفتخرا: أنا ابن الإسلام[11].

2- في عهد الخلفاء الراشدين

لقد كانت سياسة أبي بكر الصديق تتجه نحو المساواة في صراحة ووضوح فنجده حينما ولي الخلافة يعلن على الناس سياسته من خطبة ألقاها في البيعة العامة حيث قال: (إنّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، و أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه)[12]، ونجده بعد ذلك يقسم بين الناس الأعطية بالسوية فلا يفضل أحدا عن أحد، حتى يروى أنه: جاءه مال كثير فقسمه بين الناس فأصاب كل أنسان عشرين درهما، فجاءه ناس من المسلمين فقالوا يا خليفة رسول الله، إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس، ومن الناس أناس لهم فضل فلو فضلّت أهل السوابق والقدم والفضل بفضلهم فقال: أما ما ذكرتم من الفضل والسوابق والقدم فما أعرفني بذلك، إنما ذلك شيء ثوابه على لله جل ثناؤه، وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة[13]، ومثل هذه السياسة كانت تقابل بالرضى و الارتياح من الموالي الذين لم يعودهم حكامهم من قبل على هذا النوع من المعاملة، وعلى الأخص امبراطوريتي فارس و الروم وهما اللتان قامتا على حكم الفرد وعلى نظام الطوائف وعلى التفاوت بين الناس[14].

وفي عهد عمر بن الخطاب توسعت رقعت الدولة الإسلامية في الأمصار التي فيها الخراج والفيء وتم فتح العراق والسواد والجبال وأذربيجان وكور الأهواز وفارس وكور الشام، مما زاد في أعداد الموالين من أهل البلاد والمعتنقين للإسلام[15]، فكان لزاما على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يضع نظاما في العطاء يتماشى مع العدالة والمساواة ذلك أنه جعل التمايز في العطاء بحسب الأسبقية في الإسلام لا فرق في ذلك بين العربي والمولى، فإن تساووا في ذلك فبحسب القرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم[16]، وقد عهد الخلفاء الراشدين إلى الموالي مسؤوليات إدارية ومالية في الدولة الاسلامية، نظرا

لامتلاكهم خبرة إدارية في الأمور الأساسية الإدارية لتلك الأعمال[17]، وهكذا يتضح لنا من سياسة عمر أنه حاول بقدر الإمكان أن يطبق السياسة الشرعية أنه لم يجعل التمايز بين الناس على أساس اختلاف القبائل أو الأجناس ولكن جعل الأساس هو التقوى والاخلاص.

إن حالة الموالي الاجتماعية منذ بدأ عهد عثمان لم تكن حالتهم كذي قبل، فلقد حوّل مقتل عمر شعور الكثير من المسلمين إلى السخط من الأعاجم بسبب أن مقتل عمر بن الخطاب كان على يد أعجمية هو أبو لؤلؤة مولى المغيرة بن شعبة[18]، في حين أنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد أعطى للناس بالتسوية ولم يفضل أحد على أحد وأعطى الموالي، فتقدم إليه بعض أشراف العرب يطالبونه بتفضيل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم رد عليهم قائلا: " أتأمرونني أن اطلب النصر بالجور"، فغضب الأشعث بن قيس و هو مرتد سابق فقال لعلي رضي الله عنه "يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك " فقال صعصعة بن صوحان العبدي مالنا و لهذا ، يعني الأشعث ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولا لايزال يذكر، فقال علي من يعذرني من هذه الضياطرة ، يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار ، و يهجر قوم للذكر فيأمرني أن أطردهم ، ماكنت لأطردهم فأكون من الجاهلين، والذي فلق الحبة و برا النسمة ليضربنكم على الذين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا"، فكتب إلى عماله يأمرهم بحسن معاملة الموالي[19].

ثالثا: الإسهام السياسي للموالي في الدولة العباسية

قامت الدولة العباسية بسواعد من العرب ودعاة أغلبهم من موالي الفرس، وهذا ماجعل العباسيين يتعاملون مع الموالي وفق مبدأ مبني على سياسة التسامح والرفق، وبهذا فتحت الدولة العباسية الطريق أمام جماهير الموالي في العمل السياسي ووصلوا إلى أرفع المناصب من وزراء وكتاب وقادة عسكريين، كما فتحت أمامهم نفس السبيل في المجال

الاقتصادي فامتلكوا أموال طائلة وكونوا طبقة برجوازية وأصبحت لهم إقطاعيات عظيمة في الدولة العباسية.

1_ دورهم في الدعوة العباسية:

يعتبر الموالي من الدعائم الأساسية الهامة التي ساعدت على قيام الدولة العباسية، اذ ساعد الموالي في الثورة ضد الحكم الأموي عن طريق تدعيم الحركات العلوية المعارضة للبيت الأموي مثل: حركة الكيسانية[20] التي أسسها المختار الثقفي، والتي كان اعتقادها بأحقية خلافة محمد بن علي بن الحنفية[21]، وقد انطوى في هذه الحركة عدد كبير من الموالي تحت لوائها وقد كانوا في الكوفة آنذاك يشكلون معظم القبائل الكثافة السكانية بها إذا قيسوا بالقبائل العربية التي نزلت واستقرت بها بعد حركة الفتوح الإسلامية وقد أشارت بعض الروايات التاريخية أنّ جيش المختار الثقفي كان أكثره من الموالي، حيث ذكر الطبري بعد أن تغلب مصعب ابن الزبير على المختار، واستسلم له بقية جيشه كان فيمن استسلم ستة آلاف رجل، منهم سبعمائة من العرب، والباقي من العجم "الموالي" وقد قتلهم مصعب جمعا[22]، ورواية أخرى لابن الأثير: "دعا المختار شرحبيل بن ورس الهمداني، فسيره في ثلاثة آلاف، أكثرهم من الموالي وليس فيهم من العرب إلا سبعمائة رجل"[23]، وقد أكد هذا الانعطاف من جانب الموالي نحو العلويين أسباب عدة جعلت هذا الارتباط يزداد توثقا :

_ المصاهرة مع البيت الساساني بزواج الحسين بن علي بشهر بانوه ابنة يزدجرد "آخر ملك ساساني" فجاء الإمام الرابع من "الأئمة الاثنا عشرية" وهو زيد العابدين بن الحسين، وأصبح الأئمة من نسله من وجهة نظر الموالي لا يمثلون حق النبوة فقط، بل يمثلون حق الملك أيضا، ومن ذلك تولدت النظرية السياسية التي أصبحت عقيدة غير متنازل فيها لدى الفرس: هي أن العلويين وحدهم من يحملون حق التاج، وذلك بصفتهم المزدوجة فهم اورثوا آل بيت النبي وآل بيت ساسان معا.

ـ اضطهاد الموالي وشعورهم مستواهم الاجتماعي و الاقتصادي في ظل الدولة الأموية. وكان أملهم بوصول آل بيت النبي ليملئوا الأرض عدلا.

ـ استمرار نزول المحن بالبيت العلوي واستشهاد كل من علي، الحسن، زيد العابدين ويحيى بن زيد، مما لأدى إلى اشتعال نار الحقد في قلوبهم تجاه الأمويين[24].

لقد كان للموالي دور كبير في ارساء معالم الدعوة العباسية، فمن أشهر هؤلاء الموالي: أبو سلمة الخلال[25] الذي قاد الدعوة العباسية في الكوفة سنة 127هـ، ومضى أبو سلمة إلى خراسان فصدقوه وقبلوا أمره ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم، في السنوات الخمس الأخيرة التي سبقت قيام الدولة العباسية، فقد بذل جهدا كبيرا في هذا المجال، وأنفق مالا كثيرا في سبيل قيام الدولة العباسية[26].

ومن شخصيات الموالي المشهورة أيضا أبو مسلم الخراساني الذي كان مولى قوما من بني عجل بخراسان يقال لهم بنو عيسى بن معقل وفي سنة 128هـ وجه ابراهيم الإمام أبا مسلم الخرساني، وعمره تسع عشرة سنة، وكتب إلى أصحابه: "إني قد أمرته بأمري فاسمعوه له وأطيعوا، فغني قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك"[27].

وكان يتصارع في خراسان عدد من القوى السياسية وهي:

1- قوة الدولة الأموية ممثلة بالوالي الأموي في خرسان نصر بن سيار.

2- اليمانية وربيعة ويتزعمهم جديع الكرماني .

3- الخوارج وعلى رأسهم شيبان الحروري.

4- أما القوة الرابعة فهي الثورة العباسية بقيادة أبي مسلم الخرساني، وكان يجمع بين القوى الثلاث الأخيرة وحدة لهدف وهو القضاء على الحكم الأموي، إلا أن كلا منهم يخشى الآخر[28].

وتجلت خلال حرب خراسان قدرات أبي مسلم الخرساني العسكرية والسياسية والإدارية تلك القدرات الكبيرة لتي تجمعت لهذا الوالي، والتي جعلته من أعظم القادة

العباسيين، وأضحى هذا الرجل بعد أن تقرب من سكان البلاد المحليين أمل الموالي الذين تطلعوا إليه، وتوسموا فيه القدرة لرد اعتبارهم، واحياء الإرث الفارسي القديم، ويمكن اعتبارهم مقدمة لظهور البرامكة والطاهريين والبويهيين.

وبهذه الانتصارات قويَ شأن الثورة العباسية فكثر أنصارها، وأعلن الناس تأييدها، ولبسوا السواد في البصرة والكوفة، وفي مقدمة من أيدوا الثورة ولبسوا السواد محمد بن خالد القسري ابن أمير العراق السابق، خطب محمد في أهل الكوفة في المسجد معلنا خلع طاعة بني أمية و الولاء و الدعوة لآل محمد[29]، وهكذا تعددت انتصارات الثورة العباسية على مختلف الصور والأشكال.

2_ الخدمات الوزارية للموالي في الدولة العباسية:

اقتصر منصب الوزارة[30] منذ قيام الدولة العباسية على الموالي وإن كانت سلطاتها لم تتحدد بصورة واضحة في عهد أبي سلمة الخلال أول وزراء العباسيين، ثم نمت وتدرجت حتى اتخذت شكلها النهائي في أواخر العصر العباسي الأول. وكان الوزير ساعد الخليفة الأيمن، ينوب عنه في حكم البلاد وينصب العمال ويشرف على الضرائب، ويجمع في شخصه السلطتين المدنية والحربية بجانب الواجبات العادية من نصح الخليفة ومساعدته[31].

اشتهر في الدولة العباسية العديد من الموالي الوزراء الذين قدموا خدماتهم للخلفاء، ويعتبر أبو سلمة الخلال أول وزير للدولة العباسية، لكنّه خان البيت العباسي خلال عهد الخليفة الأول أبو العباس السفاح، ليأتي بعده خالد بن برمك الذي تم تنصيبه على الغنائم، ثم تولى بعد ذلك ديوان الخراج، وديوان الجند وكثر فيه حامده وحسن أثره، وكان اول من جعل الدواوين في دفاتر بعدما كانت في صحف[32].لالا

كما اشتهر أيضا الوزير خالد بن برمك رجل من رجال الدولة العباسية، وكان يتجنب أن يسمى وزيرا تطيرا مما جرى على أبي سلمة، فكان خالد بن برمك يعمل عمل

الوزراء ولا يسمى وزيران وكان خال عظيم المنزلة عند الخلفاء، قيل إن السفاح قال له يوما ما رضيت حتى استخدمتني. ففزع خالد وقال: إن ريطة ابنتي تنام مع ابنتك في مكان واحد، فأقوم في بالليل فأجدهما سرح الغطاء عنهما فأرده عليهما فقبل خالد يده وقال: مولى يكتسب الأجر في عبده وأمته، وكان هو أول من سمى الوافدون على باب الوزير بالزوار وكانوا يسمون من قبل سؤّال، ولما تولى المنصور الخلافة أقره على وزارته وأكرمه واستشاره.[33]

وفي عهد المنصور ولي يحيى بن برمك على أرمينية، كما وكله المهدي بكفالة الرشيد فأحسن تربيته ودفع عنه أخاه الهادي أراده على الخلع وتولية ابنه، لذلك فلما ولي الرشيد استوزر يحيى وفوض إليه أمور ملكه[34]، وعند تولية هارون الرشيد للخلافة وثق فيه ثقة جعل فيها الدواوين كلها إلى يحيى بن خالد مع الوزارة، سوى ديوان الخاتم، كما أنه استقل بمكاتبة العمال، فقد كانت الكتب التي تنفذ الخراج تؤرخ باسم يحيى ابن خالد، ولم تكن تنفذ إلا عن الخليفة، وأدى هذا إلى تؤخر الكتب، فشكى يحيى إلى الرشيد تأخر الكتب، فأمره أن يكاتب العمال عن نفسه وأن يؤرخ الكتب باسم الكاتب، فساعده ذلك في أداء مهامه دون تأخير[35].

وعندما استقامت الأمور للخليفة المأمون استوزره ورد التدبير إليه في كل أمر مما جعل الفضل بن سهل يمضي الأمور على رأيه، بل كتب إلى هرثمة وطاهر أعظم قواد المأمون بتسليم ما في أيديهما إلى ابن خالة الفضل بن سهل، كما كان الفضل بن سهل يؤمر مع الوزارة وهو أول وزير يجتمع له الفضلين وكان يلقب بالوزير الأمير[36].

ثالثا: دور الموالي في نشر العلم والثقافة خلال العصر العباسي

بما أن العصر العباسي هو عصر الامتزاج الثقافي ودخول الموالي إلى الحضارة العربية، فقد كان للموالي دور كبير فيه في جميع العلوم، لقد ميز هؤلاء العلماء بين مختلف العلوم والمعارف التي تتصل بالقرآن الكريم وبين العلوم التي أخذها العرب عن غيرهم من الأمم،

ويُطلَق على الأولى: العلوم النقلية أو الشرعية، وعلى الثانية: العلوم العقلية أو الحكمية، ويطلق عليها أحيانًا علوم العجم، أو العلوم القديمة.

1_ أشهر العلماء الموالي في العلوم النقلية:

اشتهر في علم التفسير العالم مقاتل بن سليمان بن بشر، أبو الحسن البلخي (ت150هـ/767م) قدم إلى بغداد، ورحلته كانت من بلخ إلى مرو ثم بغداد، وكان من المترددين على مجلس أبي جعفر المنصور، كان لمقاتل معرفة بتفسير القرآن وألّف كتاب التفسير[37]، قال عنه أحمد بن حنبل: "كان له علم بالقرآن"، وقال عنه الشافعي:" الناس كلهم عيال على ثلاثة، على مقاتل في التفسير وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر..".[38]

كما برع في علم الحديث سليمان بن الأعمش (ت148هـ/ 765م) أحد الأمة الأعلام ولد بقرية من طبرستان، له نحو ألف وثلاثمائة حديث، قال ابن عيينة: "كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض"، لكن أحمد بن حنبل قال فيه: "بأن حديث الأعمش كثير الاضطراب"[39]، ولقد رأى كبار التابعين وروى عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج و حفص بن غياث وخلق كثير من جلة العلماء[40].

واشتهر العالم الفقيه أبو حنيفة النعمان بن ثابت (150هـ/ 767م) يقال إنه من أبناء الفرس[41]، عرف بالإمام الاعظم كان صاحب رأي وثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظ، وهو من أهل الكوفة نقله أبو جعفر المنصور إلى بغداد فأقام بها حتى مات[42]، كان من التابعين، لقي عدة من الصحابة، وكان من الورعين الزاهدين ألف كتاب الفقه الأكبر وكتاب رسالته إلى البستي، وكتاب العالم والمتعلم وكتب أخرى.[43]، قال عنه، الشافعي:" الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه"، والحسن بن صالح قال:" كان أبو حنيفة فهما بعلمه متثبتا فيه، إذا صح عنده الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعد إلى غيره"، وقال زيد بن هارون "ما رأيت أفقه من أبي حنيفة في زمانه"[44]

2_ أشهر العلماء في العلوم العقلية:

لقد ظهر في مجتمع الموالي كبار العلماء الذين أصبح يشار إليهم بالبنان حتى أصبحوا قادة الفكر والعلوم في أمصارهم، كانت لهم العديد من النتاجات العلمية وكان الخلفاء العباسيون يحترمونهم ويثقون بهم ثقة عالية من أشهرهم:

ظهر في أسرة بختشيوع علماء بارعين اتخذوا الطب كحرفة لهم وتوارثوا مهنة الطب ترجمة وتأليفا وتدريسا[45]، وكانت لهم مكانة خاصة لدى خلفاء بني العباس وعاشوا في عز وجاه، من بينهم: جورجيوس بن جبرائيل الذي كان طبيب ابو جعفر المنصور[46]، وبختشيوع بن جورجيوس طبيب الخليفة المهدي، وجبرائيل بن بختشيوع طبيب هارون الرشيد، ولما توفي الرشيد خدم الأمين[47].

كما تعتبر أسرة بني طيفور من الأسر التي اشتهرت بالطب في بلاط الخلافة العباسية وأصل هذه الأسرة من طيفور أباد من بلاد فارس[48]، وعرف من هذه الأسرة ثلاث أطباء من حكم المهدي إلى حكم المتوكل على الله، وكان أولهم مؤسس الأسرة عبد الطيفوري ويحتمل أن اسمه منسوب إلى صاحبه طيفور أخو الخيزران، لأنه كان أول مرة طبيبا في خدمة طيفور أخي الخيزران، وزكريا بن عبد الله بن الطيفوري وهو الطبيب الثاني من الأسرة خدم الخليفة المعتصم، ثم إسرائيل بن زكريا الطيفوري، وهو حفيد عبد الله الطيفوري، خدم وزير المتوكل الفتح بن خاقان[49] ونادمه ثم التحق بحاشية الخليفة بتوصية من ابن خاقان.[50]

وفي علم الرياضيات والفلك اشتهر العالم المشهور محمد بن موسى الخوارزمي ت232هـ/ 846م، رياضي فلكي مؤرخ، ينعت بالأستاذ، أقامه المأمون العباسي قيما على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، وللخوارزمي كتاب (الجبر والمقابلة) ترجم إلى اللاتينية ثم إلى الإنكليزية، وعاش إلى ما بعد وفاة الواثق باللهَ، كما يعد

الخوارزمي مؤسسا لعلم الجبر والمقابلة، وهو فرع من فروع علم الرياضيات، فهو أول من ألّف في هذ العلم[51].

وذاع صيت حبش أحمد بن عبد الله المزوي أحد علماء خراسان[52]، الذين ساهموا في الدراسات الفلكية خلال عهد المأمون، المعروف بحبش الحاسب أحد أصحاب الأرصاد من خلال مؤلفاته في الازياج الكثيرة: فله "زيج حبش الحاسب"، وأزياج ثلاثة أخرى أولها المؤلف على مذهب السند هند"، الثاني "المحتم" وهو أشهرها والثالث الصغير المعروف "بالشاه"[53]، وله كذلك "الزيج الدمشقي" و"الزيج المأموني"، وكتاب "الأبعاد والأجرام"، وكتاب" "عمل الاسطرلاب"[54].

وعليه نقول أنّ العصر العباسي الاول قد شهد ازدهارا في الحياة الفكرية وأصبحت بغداد قبلة العلم والعلماء ليس فقط للعالم الاسلامي بل العالم بأجمعه، وعملت على استقطاب العلماء من مختلف الديانات والبلدان.

خاتمة:

وفي نهاية هذه الورقة البحثية يمكننا القول أنّ الموالي كان لهم سطوة في الجهاز الحكومي العباسي، وذلك بسبب الخدمات التي قدموها لهم في سبيل قيام الدعوة العباسية، فحصلوا بذلك على امتيازات في الوزارة وفي الدواوين، وأصبحت لديهم مكانة عالية وسلطة لدى الخلفاء العباسيين الذين أكرموهم بالعطايا والاقطاعيات وقدروا الدور الذي لعبه الموالي في قيام الدولة وفي استمراريتها، حيث استطاعوا من خلالها احكام سيطرتهم على الأراضي والقصور في الدولة العباسية، بل نافسوا الخلفاء في اتساع ثرواتهم وتوافرت عليهم العمال وغيرهم من موظفي الدولة التماسا لرضاهم.

كما يرجع الفضل إلى الموالي في ازدهار العلوم في الدولة العباسية فاشتهر منهم عدد لايحصى من العلماء خاصة في علوم القرآن والتفسير والحديث، اضافة إلى العلوم العقلية التي كان للموالي بصمة واضحة فيها من خلال نبوغ عدد معتبر الأطباء وعلماء الفلك

والرياضيات، فكان لهم أعظم الذكر في كل صنف من العلوم، ولهم العديد من النتاجات الدينية والأدبية والعلمية وكان الخلفاء العباسيون يحترمونهم ويثقون بهم ثقة عالية.

[1]– أبو حسين احمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، 2001 ، ط 1، ص1024–1025.

[2] – سورة مريم، الآية 5.

[3] سورة محمد، الآية 11.

[4] أبو الفتح ناصر الدين المطرّزي، المغرب في ترتيب المعرب، ج2 ، تح: محمود فاحوري، عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد ، سورية، ص371 .

[5] ابن منظور، لسان العرب، ج1 ، تح: عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ص4961.

[6] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، ج 8 ، تح : محمد محمود شاكر ، دار المعارف، مصر ، ص271 .

[7] محمد الطيب النجار، الموالي في العصر الأموي، دار النيل للطباعة ، مصر، ط 1، 1949م، ص 14.

[8] ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، أخرجه الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1988م، ص310.

[9] النجار ،المرجع السابق، ص 17.

[10] ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار ابن حزم ، بيروت، ط1، 2012، ص 130–131.

[11] المصدر نفسه، ص 499 .

[12]_ أبوبكر محمد الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ط1، ص137.

[13] المصدر نفسه، ص140.

[14] النجار، المرجع السابق، ص20.

[15] محمد ابن سعد بن منيع الزهري ،الطبقات الكبير ، ج3 ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط 1، 2001 ، ص 262.

[16] النجار ، ص 21

[17] سهاد فاضل عباس مصطفى ، الموالي و أثرهم في الحياة العامة حتى نهاية الخلافة العباسية ، مجلة آداب الفراهيدي ، العدد35 ، جامعة تكريت ، العراق ، 2017 ،ص 139.

[18] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، بَاب قِصَّةِ الْبَيْعَةِ وَالِاتِّفَاقِ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَفِيهِ مَقْتَلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ص1354، ح(3497).

[19] أسماء عبد الله غني العزاوي ، أثر الموالي في الحياة الفكرية خلال العصر الاموي ، صفحات للدراسات و النشر والتوزيع ، دمشق ،2017، ص ص49– 50 .

[20] الكيسانية : سميت بهذا الاسم لأن المختار الثقفي الذي تكونت على يده ذه الفرقة كان يقال له "كيسان" وقيل إن كيسان الذي نسبت إليه هذه الفرقة كان مولى للإمام علي، وتتلمذ على يد محمد بن الحنفية وقد قام بدعوة الشيعة لإمامة محمد بعد موت أخويه الحسن والحسين .انظر: مجموعة مؤلفين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، الدرر السنية، ج5، ص175.

[21] خالد عزام ، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العباسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005، ص7

[22] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الرسل و الملوك، ج 6، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرف، مصر، ط2، 1965م، ص ص114-115

[23] عز الدين بن أبي الحسن المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج3، تح : عمر بن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012، ص317

[24]انظر: عبد المجيد أبو الفتوح، العلويون والموالي في العصر العباسي الأول ، مجلة كلية الآداب، العدد 6، جامعة المنصورة ، مصر، 1986م، ص20.

[25] أبو سلمة الخلال: وهو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال مولى السّبيع وزير أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس، وأبو سلمة أول من وقع عليه اسم الوزير. انظر: أحمد محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ص196.

[26] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص345

[27] المصدر نفسه، ص 315

[28] علي عبد الرحمن العمرو، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول ، جامعة القاهرة، القاهرة، 1979، ط1، ص 142.

[29] ابن الأثير، ج4، المصدر السابق، ص 397.

[30] الوزارة: هي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية، لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة، فإن الوزارة مأخوذة إما من المؤازرة وهي المعاونة، أو من الوزر وهو الثقل كأنه يحمل مع مفاعله أي من يوازره أوزاره وأثقاله، وهو راجع إلى المعاونة المطلقة. أنظر: عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، ص184.

[31] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص 209

[32] الجهشياري، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1938م، ص89.

[33] محمد بن علي ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص ص156-157.

[34] انظر: عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3، تج : خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ص 279-280.

[35] الجهشياري، مصدر سابق، ص 177-178.

[36] المصدر نفسه، ص 305-306.

[37] أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج15، دار الكتاب العلمية، بيروت، د.ت، ص207.

[38] المصدر نفسه، ص208

[39] شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج3، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003، ص 183.

[40] ابن خلكان، مصدر سابق، ج2، ص400.

[41] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ، ج6، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1985م، ص391.

[42] البغدادي، المصدر السابق، ج15، ص445.

[43] محمد بن اسحاق بن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1987م، ص ص284-285.

[44] شمس الدين الذهبي، مناقب الإمام أبي حنيفة، تح: محمد زاهد الكوثري، أبو الوفاء الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر أباد الدكن في الهند، ط3، 1408هـ، ص30.

[45] يرجع أصل هذه الأسرة من السريان الذين ظهروا بجند يسابور التي هي إحدى المدن الفارسية والقسم الأول من "بخت" بمعنى حظ أو عبد، والقسم الثاني "يوشع" تعبير سرياني يعني اسم المسيح. أنظر: كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج1، دار النضال، بغداد، 1984م، ص335 يرجع أصل هذه الأسرة من السريان الذين ظهروا بجند يسابور التي هي إحدى المدن الفارسية والقسم الأول من "بخت" بمعنى حظ أو عبد، والقسم الثاني "يوشع" تعبير سرياني يعني اسم المسيح

[46] أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي، مسالك الأبصار في ممالك الامصار، ج9، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط1، 1423هـ، ص337.

[47] السامرائي، المرجع السابق، ص334.

[48] المرجع نفسه، ص359-360.

[49] الفتح بن خاقان: أبو محمد الفتح بن خاقان وزير ومشاور الخليفة المتوكل حتى وفاته، كان يجيد الحساب ومعروف بالخلق الحسن والكرم توفي قتيلا مع سيده الخليفة 247هـ. انظر: المرجع نفسه، ص362.

[50] المرجع نفسه، ص 360-362

[51] خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، ج7، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986، ص117.

[52] رفاه تقي الدين عارف، علماء خرسان في بغداد، دار الرافدين ، بيروت، ط1، ص344.

[53] مصطفى بن عبد الله المشهور بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، تح: محمد شرف الدين يالتقايا، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1941، ص968.

[54] ابن النديم، المصدر السابق، ص384.